

فلسطين توظف الثورة.. الإبادة الجماعية في غزة تكرس رفض الصهيونية والأدوار الغربية

كتبه نيلا بيرتون | 23 يناير, 2024



ترجمة وتحرير: نون بوست

عندما اغتيل باتريس لومومبا في سنة 1961، كتب لانغستون هيوز: “لقد دفنوا لومومبا في قبر غير مميز/ لكنه لا يحتاج إلى علامة... إن قبره في قلبي / وهو موسوم هناك”.

منذ أن بدأت إسرائيل مذبحتها في غزة يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر، شعرتُ بأن قلبي قد أصبح قبرًا لأكثر من 25 ألف شخص في فلسطين. لقد شهدتُ، مع بقية العالم، أكثر عمليات الإبادة الجماعية توثيقًا في التاريخ، ولقد شاهدتُ من هاتفي محاولة إبادة أمة بأكملها.

لقد استبدلت هذه الـ 100 يوم من الإبادة الجماعية كل خلية في جسدي وجعلتني شخصًا مختلفًا. فلم أعد كما كنت قبل أن أشهد هذه الفظائع؛ لقد تحولت روحي لتدور حول هذه الثورة، وأنا لست وحدي في هذا، لقد تغير العالم معي.

بالنسبة للكثيرين؛ كان هذا التغيير مدفوعًا بعمل الصحفيين الفلسطينيين الذين يواجهون الموت بسبب كشفهم الحقيقة.

وتقول منال فرحان، وهي من سكان شيكاغو وعائلتها تم طردها من بيتهم المألحة في فلسطين عام 1948، خلال النكبة الأولى: "إن التقارير البطولية، التي غالبًا ما يلتقطها وينشرها الشباب الفلسطيني الشجاع في جميع أنحاء فلسطين، توفر لنا نافذة واضحة يمكن من خلالها رؤية العنف الصارخ والعنصرية المتأصلة في المشروع الاستيطاني الاستعماري الإسرائيلي".

لكن هذا الوعي والغضب المتزايد لا يتجهان نحو الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي فحسب؛ بل إلى المشروع الغربي برمته.

وتقول روان المصري، وهي مترجمة في رام الله ومؤسسة مشاركة في منظمة **إنهاء الاستعمار في فلسطين**، إنها لاحظت هذا التحول العلي الهائل، مضيفة: "أعتقد أن هذه الأيام المائة قد كشفت وحشية الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل أمام عشرات الأشخاص للمرة الأولى ولأولئك الذين يتضامنون معنا بالفعل أكثر من أي وقت مضى. أعتقد أن هذه هي بداية النهاية ليس لإسرائيل فحسب؛ بل للهيمنة الاستعمارية الغربية التي قبلها الكثير منا كحقيقة من حقائق الحياة ولكنهم يرون الآن بطريقة ملموسة أنه لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك".

الحرية الفلسطينية هي حريتي

وتقول إيمان سلطان، كاتبة وصحفية باكستانية أمريكية شاركت في النشاط المؤيد لفلسطين، إن أكثر من 100 يوم من مشاهدة الإبادة الجماعية "أدت إلى صحوة؛ حيث أصبحنا أكثر وعيًا بإنسانيتنا من خلال الاعتراف بإنسانية الفلسطينيين"، وهذا شيء رأيناه عندما أصبح الناس أكثر روحانية وشفافية.

وتابعت إيمان: "أعتقد أيضًا أن الدورات والمشاهد المنتظمة للحياة الرأسمالية - سواء كانت الانتخابات، أو الالتفاف حول السياسيين، أو المشاهير - أصبحت فعليًا شيئًا عفا عليه الزمن في حين أن الواقع هو أن أكثر من 30 ألف فلسطيني قُتلوا في غزة منذ 7 تشرين الأول / أكتوبر. وأولئك الذين في السلطة لم يكتفوا بإصدار تشريعات لقتلهم؛ بل برروا جرائمهم".

لقد امتد هذا الشعور بالرفض واسع النطاق إلى العديد من مجالات حياتنا، لقد تلقت حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات، التي تهدف إلى الضغط على إسرائيل اقتصاديًا وسياسيًا لإنهاء الاحتلال، دعمًا لم تشهده من قبل. بعد أن **رفعت ستاركس دعوى قضائية ضد نقابة عمال ستاركس** لدعمها فلسطين، وظهرت مقاطع فيديو من ماكدونالدز في إسرائيل وهي تقدم وجبات مجانية لجنود قوات الاحتلال الإسرائيلي بينما واصلوا حملة المذابح، ورفض معظم الأمريكيين المؤيدين للفلسطينيين تناول الطعام في سلسلي الوجبات السريعة، مما يشير إلى أن مقاطعتهم دائمة ولن تتأثر حتى بالاعتذار اللئيم الذي لم يأت بعد. قد يبدو الأمر بسيطًا، لكن إقناع

الأميركيين - الذين تدور ثقافتهم بأكملها حول النزعة الاستهلاكية - بالتوقف عن استهلاك اثنين من أكبر ركائز هذه الثقافة سيكون أمرًا لا يمكن فهمه، لكن الناس لم يعد بإمكانهم الاستمرار كما اعتادوا.

ولا تقتصر حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات على القائمة فقط؛ حيث كان الناس يبحثون عن الشركات التي يشترون منها، ويشترون المنتجات المحلية والمستعملة، ويحدون من هدر الطعام، ويدعمون عمدًا الشركات المملوكة للفلسطينيين والشركات التي تخاطر بمعيشتها من أجل فلسطين، مثل هدى بيوتي. وتقول روان المصري إنها سمعت أيضًا عددًا لا يحصى من الأشخاص في فلسطين يعلنون أنهم لم يعودوا يرغبون في مشاهدة الأفلام أو البرامج التلفزيونية الغربية.

وتوضح روان المصري: “العبارة الشائعة التي أسمعها هي أنهم لا يستطيعون تحمل النفاق. إنهم لا يستطيعون التعامل مع رؤية ما يعتقد الناس أنه مشاكل مقارنة بالقصف والتجويع ورؤية الحياة تعيش بشكل طبيعي عندما نحرم من ذلك.”

مع تزايد عدد الأشخاص الذين يدافعون عن فلسطين ويجدون أنفسهم يفقدون وظائفهم، ويتعرضون للتهديد بالعنف والاعتداءات والإيقاف عن العمل لمجرد ارتداء رموز المقاومة مثل الكوفية، ناهيك عن الإعجاب بنشاطهم؛ أصبحت مخاطر هذه المعركة أكثر إلحاحًا بكثير بالنسبة لمن هم حلفاء، وقالت منال فرحان: “لقد تجاهلت العديد من الحكومات إلى حد كبير الصرخات الأخيرة التي أطلقها شعبها للمطالبة بوقف فوري ودائم لإطلاق النار في غزة، أو قامت بتجريم وعقاب الفعل ذاته المتمثل في التحدث علنًا دعمًا لحقوق الإنسان الفلسطينية، والذي يشير بوضوح إلى أن هذه الدول تدعي أنها تقدر وتقدر حقوق الإنسان الفلسطينية. إن حماية الكرامة الإنسانية [هي] مهزلة”، مضيفة أنها هي نفسها تواجه الطرد من مالك العقار **م. فيشمان** لمجرد رفع العلم الفلسطيني خارج نافذتها، وتابعت: “يدرك الناس الآثار المترتبة على ذلك؛ فهم ليسوا أحرارًا حقًا - أحرار في التعلم والتحدث كما يحلو لهم، والاستهلاك كما يريدون، والتجمع كما يرغبون، وارتداء الملابس كما يرغبون - حتى تتحرر فلسطين.”

الانضمام إلى العالم ضد الغرب

إن الدعوى التي رفعتها جنوب أفريقيا ضد إسرائيل في محكمة العدل الدولية في لاهاي - والتي تعتبر أعلى محكمة في العالم - تمثل تحديًا مباشرًا لهذه الهيمنة الاستعمارية الغربية. كما **كتبت نسرين مالك** في صحيفة الغارديان: لا تدين المحاكمة إسرائيل بسبب احتلالها الدموي المستمر منذ 75 عامًا والإبادة الجماعية الحالية فحسب، بل تتحدى كذبة الغرب الخبيثة القائلة إن إسرائيل هي ضمانة الأخلاق والمنطق والفروق الدقيقة، في حين أنهم في الواقع مسؤولون عن بعض أعمال العنف الأكثر وحشية وقسوة التي شهدتها البشرية على الإطلاق. وأضافت نسرين: “تُظهر قضية محكمة العدل الدولية كيف أن المنطق الغربي يضعف وأن قوته المقنعة تتضاءل في عالم متعدد الأقطاب.”

أشارت العديد من التقارير إلى أن معظم الدول التي تدعم فلسطين ليست جزءًا من العالم الغربي. أدانت ناميبيا، حيث ارتكبت ألمانيا أول إبادة جماعية في القرن العشرين ما بين 1904-1908، ألمانيا لدعمها إسرائيل. لقد تحلت جماعة أنصار الله في اليمن، التي يشار إليها عادة بـ “الحوثيين”، بالشجاعة الكافية لتعطيل الشحن إلى إسرائيل، وعندما قصفت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة عاصمتهم، ردًا على ذلك، لم يتراجعوا بل وسعوا الحصار إلى مناطق مهاجميهم كذلك.

بدلاً من الاستياء بشأن عدم انضمام الدول الغربية القوية إلى هذه الدعوة، فإنني ورفاقي ننظر إليها باعتبارها ثورة الجنوب العالمي. لا يمكنهم هزيمتنا، لا سيما أننا لا نتواجد جغرافيًا في الجنوب العالمي فحسب، بل نحن في الغرب؛ ونحن أطفال المهمشين والنازحين، والسكان الأصليين.

لقد أدت الإبادة الجماعية في فلسطين إلى زيادة الوعي حول عمليات الإبادة الجماعية الأخرى الجارية. في جمهورية الكونغو الديمقراطية، قُتل ستة ملايين شخص بسبب التدخل الغربي وصناعة تعدين الكوبالت - فالكوبالت هو المورد الذي يغذي التكنولوجيا لدينا، بما في ذلك الهواتف الذكية. وقد مؤلت كل من الإمارات العربية المتحدة والولايات المتحدة هذه الإبادة الجماعية بشكل رئيسي في السودان، حيث أدت الإبادة الجماعية التي مؤلتها الإمارات العربية المتحدة إلى مقتل تسعة آلاف شخص في ستة أشهر، بما في ذلك الإبادة الجماعية للمساليت في دارفور على يد قوات الدعم السريع/ الجنجويد وعمليات القتل خارج نطاق القضاء لغير العرب في جميع أنحاء السودان على يد القوات المسلحة السودانية.

في هذا السياق، تقول “أ” وهي امرأة سودانية غير عربية وناشطة رفضت الكشف عن هويتها حفاظًا على سلامتها وسلامة عائلتها، إن “موقف القضية الفلسطينية يدعو إلى التحرر العالمي. من الطبيعي أن يتساءل الناس: من الآخر؟”. مع وعي الكثير من الناس بهذه الفظائع الأخرى، سيكون من السهل تشكيل رواية رومنتيقية للتضامن العالمي. لكننا لم نصل إلى هناك بعد، ويعد التضليل عاملاً غير مساعد.

وأوضحت أ: “يتساءل الناس عن أفكارهم حول التحرر وما إذا كانت ستصمد أمام اختبار توسيع التحالف الحقيقي”. في حالة السودان، وُجد نشطاءً محليون كثيرون كانوا قد أشأوا بالفعل محتوى للتثقيف والمناصرة والدعم قبل وقت طويل من السابع من تشرين الأول/أكتوبر. في قضايا أخرى مثل تيغراي، حيث يوجد عدد قليل جدًا من المغتربين الذين يشاركون القصص، رأينا الانفصال بين التحالف الحقيقي ومجرد شعار آخر مرتبط بحركة أخرى.

توافق إيمان سلطان على أنه في حين نعيش فترة لم يسبق لها مثيل، لا يزال هناك طريق طويل لنقطعه وهي لا تعتقد أن “الكارثة بين العالمين الأول والثالث قد تم تجاوزها تمامًا. مع أنه لم يحدث هذا حتى اللحظة الراهنة ولكن يمكننا أن نطلق على هذا البداية”.

كدولتين أفريقيتين، كافحت جمهورية الكونغو الديمقراطية والسودان للحصول على مستوى الاعتراف والتضامن العالمي الذي تلقتة الدول الأخرى في حركتنا. وخلال احتجاجاتنا هتف الجماهير بعبارة “الكونغو حرة” أو “السودان حر”، لكن نسبة المشاركة في الاحتجاجات التي تركز على تلك

البلدان منخفضة. وبينما تظلّ فلسطين بمثابة الاختبار الحقيقي للأخلاق، يبدو أن البعض غير راغب في الاحتفاظ بشهادة وحقيقة الأفارقة غير العرب الذين يتعرضون للاضطهاد، ولكن لم يعد بإمكاننا تحمل هذا النوع من الجهل المتعمّد. فكم سنة كان من المقبول النأي بأنفسنا عن فلسطين، ونقول “الأمر معقد”؟

لقد انتهى عصر الرضا عن النفس، وعلينا أن نحمل جميع إخواننا وأخواتنا في قلوبنا وأن نبقّهم في قلب معرّكتنا. ربما يكون القول أسهل من الفعل في عالم يناضل فيه الأفارقة المضطهدون دائماً من أجل الحصول على الاعتراف والتضامن العالميين، ولكن لا بد من القيام بذلك. وعلينا أن نذهب إلى أبعد من ذلك. هناك من دعوا إلى أعمال الشغب، وإلى الانتفاضات التي لم نشهدها من قبل، وإلى أعمال العصيان المدني التي تجعل من المستحيل على اقتصاداتنا أن تعمل. دون ذلك، نكون قد خذلنا الفلسطينيين، وسنكون قد خذلنا أنفسنا كذلك.

الحزن عميق، ولكن الحرية يمكن تحقيقها

هذا هو الاختبار الكبير الذي نواجهه كبشر، وإذا فشلنا فيه سيصبح وجودنا عدماً. هذا ليس غلواً أو استعارة روحية. إنها حقيقة علمية أن الاستعمار والرأسمالية شران مزدوجان يدمران قدرة البشر على العيش على هذه الأرض. خلال الإبادة الجماعية في غزة وحدها، أطلقت قوات الاحتلال كمية **الانبعاثات ذاتها** التي أطلقتها اثنتان من أكثر دول العالم عرضة لتغيّر المناخ في ثلاثة أشهر. إن الدول التي تجرّد الكونغو من الموارد والشركات هي نفسها (مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة) التي تمول إسرائيل وتشن حرباً على اليمن وهي أكبر الملوّثين في العالم، مما يقتل فرصتنا في الحياة البشرية على هذه الأرض مقابل المال فقط. وعلينا أن نتخلص من القيود التي أحاطت ليس بفلسطين فحسب، بل بالعالم أجمع.

حان الوقت للتحرك، لدينا مؤقت، والكثير منا يشعر بهذه الضرورة الملحة. إذا سمحنا بحدوث الإبادة الجماعية الأكثر توثيقاً في التاريخ دون عواقب، ودون إنهاء هذا الاحتلال وتحرير إخواننا وأخواتنا على مستوى العالم، فسنكون قد خسرنا كل شيء. تقول المصري إن تدفق التضامن جعلها تشعر أن الحرية أمر يمكن تحقيقه، لكنها تعلم أن الحصول عليها سيكون بشق الأنفس وأن إسرائيل والدول الغربية الأخرى سترتكب أعمال عنف مروعة لن نتعافى منها أبداً رداً على موت الإمبراطورية.

وتقول: “اليمن وناميبيا وجنوب أفريقيا ودول أخرى تمنحني الأمل، ولكن لا يزال أمامنا طريق طويل وملطخ بالدماء”.

لكني أشعر بالسلام وسط آلامي التي لا توصف، لأنني بطريقة ما أعلم أن التحرر وشيك. أعلم أننا سنقتصّ لدماء كل من فقدناهم من خلال إحلال السلام الدائم. لأول مرة في حياتي، أستطيع رؤيته. ليس في الأفق أو في المستقبل البعيد ولكن هنا الآن. أتمنى ذلك ليس فقط لأطفالي ولكن لي أيضاً. الحرية موجودة ولا نحتاج إلا للوصول إليها. لم يكن الأمر قريباً جداً أكثر من أي وقت مضى.

لن يتوقف قلبي عن أن يكون قَبْرًا. لن أشفى أبدًا مما رأيته. سوف أظل أبكي إلى الأبد. ومع ذلك، لم أكن أبدًا يائسة إلى هذا الحد، ولم أكن أبدًا ممتلئةً بالأمل إلى هذا الحد، لأول مرة، أنا متأكدة ولدي إيمان.

المصدر: [موندويس](#)

رابط المقال : [/https://www.noonpost.com/194887](https://www.noonpost.com/194887)